تفسير النسفي

« مدارك التنزيل وحقائق التأويل »

تأليف

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

« ت ٧١٠ هـ »

حققه وخرج أحاديثه

يوسف علي بديوي

راجعه وقدم له

محيي الدين ديب مستو

الجزء الثاني

دار الكلم الطيب

بيروت

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكلم الطيب للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي - هاتف ٢١٢٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٢
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٣١٨

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

---

١ ـ ﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيه الله عن السوء، وهو علم للتسبيح، كعثمان للرجل. وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله ﴿سبحان﴾. ثمّ نزّل سبحان منزلة الفعل فسدّ مسدّه، ودلّ على التنزيه البليغ ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ. وسرى وأسرى لغتان ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف. وقيّده بالليل. والإسراء لا يكون إلاّ بالليل للتأكيد، أو: ليدلّ بلفظ التنكير على تقليل مدّة الإسراء، وأنّه أسري به في بعض الليل من مكّة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: أسري به من دار أمّ هانىء بنت أبي طالب. والمراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإحاطته بالمسجد، والتباسه به. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الحرم كلّه مسجد. وقيل: هو المسجد الحرام بعينه. وهو الظاهر. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان، إذ أتاني جبريل بالبراق، وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة»[١]. وكان العروج به من بيت المقدس. وقد أخبر قريشاً عن عيرهم، وعدد جمالها، وأحوالها، وأخبرهم أيضاً بما رأى في السماء من

---

(١) رواه أحمد (٤ /٢٠٨ ـ ٢٠٩) والبخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

العجائب، وأنّه لقي الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وبلغ البيت المعمور، وسدرة المنتهى. وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، وكان في اليقظة. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: والله ما فُقد جسدُ رسول الله ﷺ، ولكن عُرِج بروحه[١]. وعن معاوية مثله. وعلى الأوّل الجمهور، إذ لا فضيلةَ للحالم، ولا مزيّةَ للنائم ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ هو بيت المقدس، لأنّه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه متعبّد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ومهبط الوحي. وهو محفوف بالأنهار الجارية، والأشجار المثمرة ﴿لِنُرِيَهُ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الدالّة على وحدانيّة الله، وصدق نبوّته برؤيته السموات وما فيها من الآيات ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿الْبَصِيرُ﴾ بالأفعال. ولقد تصرّف الكلام على لفظ الغائب والمتكلّم، فقيل: ﴿أسرى﴾ ثمّ ﴿باركنا﴾ ثمّ ﴿إنّه هو﴾ وهي طريقة الالتفات، التي هي من طرق البلاغة.

٢ ـ ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الكتاب، وهو: التوراة ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ أي: لا تتخذوا. وبالياء: أبو عمرو. أي: لئلا يتّخذوا ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ ربّاً تكلون إليه أموركم.

٣ ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ نصب على الاختصاص، أو: على النداء فيمن قرأ ﴿لا تتّخذوا﴾ بالتاء على النهي. أي: قلنا لهم: ﴿لا تتّخذوا من دوني وكيلاً﴾ يا ذرّيّة من حملنا مع نوح ﴿إِنَّهُ﴾ إنّ نوحاً ـ عليه السلام ـ ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ في السرّاء والضرّاء ـ والشكر: مقابلة النعمة بالثناء على المنعم. رُوي: أنّه كان لا يأكل، ولا يشرب، ولا يلبس إلاّ قال: الحمد لله ـ وأنتم ذرّيّة من آمن به، وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم، كما جعله آباؤكم أسوتهم. وآية

(١) قال الحافظ: قال ابن إسحاق في «المغازي»: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة بهذا. (حاشية الكشاف ٢ / ٦٤٧).